

الظاهرة الصوتية في الدرس اللساني الحديث

قراءة في الدرس الصوتي عند "ابراهيم أنيس"

الأستاذ: ناجي براخلي
جامعة البليدة 2
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة العربية وآدابها

ملخص:

يعنى هذا البحث بدراسة ظاهرة صوتية بدأ الاهتمام بها يتزايد في السنوات الأخيرة، وهي الظاهرة الصوتية في الدرس اللساني الحديث، وهي ظاهرة يتميز بها الفرد صوتيا عن غيره، إذ أن الإنسان يمتلك بصمة نطقية خاصة به، شأنها في ذلك شأن البصمة الإحيائية.

وقد عنت العلوم اللسانية و التطبيقية الحديثة بهذه الظاهرة الصوتية عناية كبيرة، إلا أن جهود اللغويين في دراسة هذه الظاهرة مازالت متناثرة في نظر كثير من النقاد و الباحثين، إذ تكاد تعرض بطريقة مبتسرة هنا أو هناك، لذلك رأوا جمعها وتحليلها وعرض طريقة اللسانيات الحديثة في دراسة هذه الظاهرة الصوتية الدقيقة.

و رأوا أيضا أن كثيرا من المفاهيم و النظريات اللسانية الحديثة، لها جذور تراثية أصيلة، إذ تبين لهم أن التراث العربي قد عني بهذه الظاهرة، و درسها و حلل أسباب وقوعها، و لعل ما يؤكد ذلك تأكيدا كافيا شافيا هو ما قدمه الدكتور إبراهيم أنيس في كتابه " الأصوات اللغوية ".

Résumé :

Cette étude s'intéresse à l'étude d'un phénomène sonore devenu de plus en plus populaire ces dernières années, et le phénomène du son dans la leçon linguistique moderne est un phénomène caractérisé par la voix individuelle des autres, en tant que personne à sa propre signature comme l'empreinte biométrique.

Les sciences linguistiques et appliquées modernes ont pris grand soin de ce phénomène, mais les efforts des linguistes pour étudier ce phénomène sont encore éparpillés aux yeux de nombreux critiques et chercheurs, il est presque présent ici ou là-bas, alors ils ont vu la collecte et l'analyse et présenté la méthode de la linguistique moderne dans l'étude de ce phénomène sonore.

Ils ont également vu que beaucoup de concept et de théories linguistiques modernes ont des racines patrimoniales authentiques, ils ont constaté que le patrimoine arabe lié à ce phénomène l'a étudié et analysé les causes, cela peut être confirmé par une assurance suffisamment claire par le **Dr IBRAHIM ANIS** dans son livre « voix de la langue ».

مقدمة :

لا أحد ينكر أن تاريخ الأمم السالفة حافل بالدراسات اللغوية، و كان ذلك حافزا للتطور الدرس اللساني الحديث، و هذه الحضارات القديمة و إن لم تأت بمادة علمية كافية عن الدرس اللغوي ، و لم تتعمق في تفسير ظواهره و تبيان حقائقه ، إلا أنها تشكل إرهاصات مهمة عن شأن هذا الدرس الضارب بجذوره في أطناب التاريخ ، و أهم ما يمكن ذكره كنموذج عن هذا الوصف ، ما قدمته الحضارة الهندية من انجازات للعالم اللغوي (بانيني) ، "إذ يعتبر الهنود من أولى الأمم التي وصفت الأصوات اللغوية وصفا دقيقا من حيث النطق ، في تاريخ الإنسانية"(1).

والعرب كبقية الأمم ، اعتنت عناية كبيرة بكل ما يتصل بلغتها ، ولما كانت هذه الأخيرة ظاهرة اجتماعية تسير حركة المجتمع، في نموه وازدهاره وفي انحطاطه وروقه، أصبح تحديد بداية الدرس اللغوي تحديدا دقيقا غير ميسر، لأن الأمر يرتبط بنشأة المجتمعات، وهذا لا يمنع الباحث من الخوض في حيثيات النشأة، ومن خلال استقراء الموروث اللغوي و مساءلته بالمناهج اللسانية الحديثة.

لقد شكل المستوى الصوتي للغة قطب الرحي، الذي دارت حوله جل الدراسات اللسانية القديمة و الحديثة أكثر من غيره من مستويات اللغة.

و تعني الظاهرة الصوتية تلك الممارسات اللغوية ذات المنحى الصوتي و التي كانت حاضرة في أدبنا العربي قبل أن ينظر لها الدرس اللساني و قبل أن تطرح مسألة اللحن في اللغة العربية و خوف العرب على لغتهم و غيرتهم عليها، بل قبل نزول القرآن الكريم، و الحرص على تلاوته و تجويده حتى عهد أبي الأسود الدؤلي، كانت اللغة لا تزال أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، و فعلا إجرائيا أكثر منها مادة علمية قابلة للدرس و التمهيص، لأن العرب لم تكن أهل قراءة وكتابة إنما كانت أهل إنشاد و سماع، و قيمة الألفاظ تدرك بالسمع، لأن "الألفاظ داخلة في حيز الأصوات لأنها مركبة من مخارج الحروف، فما يستلذه السمع منها فهو الحسن وما كرهه و نبا عنه فهو القبيح"(2).

و ذلك لأن الاهتمام بكل ما له علاقة بالصوت اللغوي قديم عند العرب، و حضور حاسة السمع كان فاعلا في النسيج الشعري وبالتالي، كانت مسوغات حضور الظاهرة الصوتية في العصر الجاهلي كثيرة تتمثل في إنشاد الشعر و الاهتمام بالموسيقى الخارجية، و هذه الظاهرة الأخيرة تتجلى أساسا في العصر الجاهلي، فكان شعراء هذا العصر يعتمدون على السماع و يشدون في أسواق العرب أو عند موارد المياه أو في مجالس القبائل(3)، و دور الرواة في نقل الأخبار و الوقائع و الأحداث كان بارزا جدا، و كان الشعر بفضل ينشر بسرعة

فائقة بين القبائل، ضف إلى ذلك، أن الشاعر كما يقول شوقي
ضعيف: " لا ينطق شعره فحسب، وإنما يحاول أن ينغم ألفاظه
وعباراته حتى ينقل سامعه و قارئه من اللغة الاعتيادية إلى لغة
موسيقية ترفعهم إلى عالمه الشعري"(4).

كما لا يمكن بحال من الأحوال أن نغفل التشكيل الخارجي
الذي يعتمد الشعر الجاهلي، فهو أساس مبني على الإيقاع
السمعي يضبطه نضام الوزن و القافية، و مع ذلك العرب لم
تعرف أوزان الشعر بتعلم قوانين صناعية، إنما كانت تنظم
بطبعها على حسب ما يهيم لها إنشادها، و هي أوزان الشعر
التي أسماها الخليل فيما بعد، ببجور الشعر.

و إذا تصفحنا معظم المباحث التي أثريت موضوع الفصاحة
قديمًا، فإننا نلاحظ أن العرب قد افتتنت بالجانب الجمالي للغة
في مستواها الصوتي، فجعلوا الكلام الفصيح هو ما خلا من
عيوب في النطق، و قال معاوية يوما: " من أفصح الناس؟ فقال
قائل: قوم ارتفعوا عن لخلخانية الفرات، و تيامنوا عن كشكشة
تيم و تياسروا عن كسكسة بكر، ليست لهم عمغة قضاعة ولا
طمطمانية حمير، قال: من هم؟ قال: قريش"(5).

كما أن العرب تتماذج بسعة الفم و تدم بصغره، لأن السعة
أقدر على الجهر بالحروف و حسن الأداء، و استثقلوا النطق
بكلمات تتباعد مخارج حروفها، مثل: مستشزرات(6).

و من هنا يتضح أن الفصاحة ليست الظهور و البيان كما ورد في معاجم اللغة، إنما هي قريبة لفهم ابن سينان الخفاجي الذي يراها "تقع في جرس الألفاظ، و تناسب حروفها، لا في معانيها، فهي صفة محسوسة تدرك بالسمع و ليست معقولة تدرك بالعقل" (7)، و لهم في كل ذلك أخبار و نوادر لا يهم ذكرها في هذا المقام، تروي أنه من الدلائل الطبيعية على الفصاحة، استعمال جميع الفم، و تفخيم الأداء، و وزن المخارج دون تمتمة أو فأفة، أو تنطع أو تفيق و هو ما ذمه النبي - صلى الله عليه و سلم- في الحديث الشريف: " أبغضكم إلي الثرثارون المتفيهقون" (8).

لأن ما تفرد به - عليه الصلاة و السلام -، في عريته " لفظ مسبح، لسان بليل، تجويد فخم و منطق عذب و فصاحة متانة" (9).

ونحن إذ عرضنا الفصاحة عند العرب بهذا الوصف لسنا نتجاهل الأصل اللغوي للفظ والفصاحة وهو الظهور والبيان (10)، أو ننقل من شأن الفصول التي عقدها الجرجاني، للرد على ابن سينان بأن الفصاحة تكون في المعنى و ليس في اللفظ (11)، و لكننا وجدنا في هذه القراءة، نموذجاً آخر عن تلك الممارسات اللغوية الصوتية التي استعملتها العرب في كلامها

قديمًا، ثم إننا أردنا الاستدلال بوصف مميز غير جائز أن الفصاحة تتحقق في النص المنطوق لا المكتوب.

و مما لا شك فيه أن الأسلوب في نظم الكلام وترديد الأصوات، استرعى اهتمام العرب قبل أن يبدأ التقعيد للدرس اللغوي الصوتي، فأدركت العرب في فترة سليمة ما تحدثه أشكال البديع اللفظي، من جمالية في جرس الأصوات، و ربما كان ذلك مسوغًا لتعلقها بفنون الإيقاع اللغوي و تشدقها بضروب السجع والجناس، و رأوا المزية أحيانًا في تجويد العبارة قبل إخراجها و ارتبط شرف اللفظ بديباجته، متمثلًا في صورة منطوقة مسموعة، تستلذها الأسماع قبل الأذان، وتطرب لها الأذان قبل العقول، ونجد عن ذلك أمثلة عديدة حملتها أمهات الكتب العربية.

إذن فدرسنا الصوتي قبل أن يفتح له عهد التنظير والتقعيد، كانت مادته لا تزال تتخمر في هذه الظواهر الصوتية و التي تتجلى في إنشاد الشعر و روايته و الحفاظ على البناء العمودي للقصيدة (الوزن و القافية) و الافتتان بأساليب الفصاحة و ألوان البديع، وذلك لأن الصدمة الأولى للنفس العربية إنما هي أوزان الكلمات وأجراس الحروف.

وبعد هذه الإشارة عن الجهود الصوتية في الدرس اللساني عند المتقدمين، فسوف يتقل بنا الحديث إلى الدراسات الصوتية الحديثة،

اذ لا يمكن للباحث أن يتجاهل بعض التساؤلات التي قد تصادفه أثناء بحثه، خاصة إذا تعلق الأمر بالدرس اللغوي الحديث، و خير نموذج وقع عليه اختيارنا هو الدكتور ابراهيم أنيس، ولم يكن اختيار وليد الصدقة، لأننا وجدنا فيما كتب أنيس في مجال الصوتيات العربية، مادة علمية كافية و ثرية نستكمل بها هذا المستوى البنيوي الصوتي.

الجهود الصوتية عند ابراهيم أنيس :

لقد اعتمد ابراهيم أنيس في درسه الصوت على جهود المتقدمين من العرب و توصلوا إليه من خلال دراساتهم اللغوية.

و من أهم الدوافع التي دفعته لإعادة طرح مادة التراث، هو ما يجده الباحث من غموض و صعوبة في قراءة التراث، مما يفرض عليه اقتفاء آثار المتقدمين بنفس المنهج و بنفس العبارات و الألفاظ دون الوقوف على المصطلح المناسب، فكان ذلك سببا كافيا استلهم ابراهيم أنيس لإضافة فصل سجل فيه ملاحظاته حول دراسة المتقدمين لأصوات اللغة، و يشرح بعض المصطلحات مستعينا بما أقره الدرس اللساني الحديث.

و هو في ذلك، يعتبر أن هذه الجهود اللغوية التي يقدمها كتابه، هي من صميم الفونولوجيا، و إن بدت لبعض القراء مواضيع فونيتيكية، لأنه يركز دراسته على أثر الصوت اللغوي في تركيب الكلام نحوه و صرفه، و مع هذا التصنيف يجد من

وجهة نظر علمية أن حدود الفونيتيك والفونولوجيا متشابكة، يصعب تحديدها.

و يمهّد إبراهيم أنيس دراسته، بما يقدمه من مفاهيم عامة ترتبط بالظاهرة الصوتية، فالصوت عنده هو مدرك ناتج عن اهتزاز الأجسام، "لأنه ظاهرة طبيعية يدرك أثرها دون أن يدرك كونها" (12) و تنتقل هذه الاهتزازات على شكل أمواج عبر الهواء إلى الأذن، فتصبح أصواتاً، أما ما يتحكم في شدة الصوت ووضوحه، فهو بعد الأذن و اقترابها من مصدر الصوت.

وفي الصوت الإنساني، فإن مصدر الذبذبات هو الحنجرة، و تحديداً من اهتزازات الوترين الصوتيين، و إحداث الصوت، يتم بفعل اندفاع الهواء من الرئتين و أثناء مروره بالحنجرة، يحدث اهتزازات تصدر من الفم أو الأنف، و تنتقل عبر نظام التموج إلى أذن المستقبل (إنسان آخر)، فيترجمها إلى أصوات.

وكلما كان الوتران الصوتيان أقصر و أقل ضخامة، كلما زادت سرعة اهتزازهما، و عدد دبدباتها في الثانية، و كلما طال الوتران و تضخما، كلما ضعفت حركتهما، و اهتزازهما، لذلك فإن حدة الصوت و درجته، مرتبطة عند الإنسان بسنه و جنسه، فالأطفال و النساء أحد أصوات الرجال، و الطفل بعد فترة البلوغ، يتضخم و تراه الصوتيان، فينتج عن ذلك عمق صوته

ويلاحظ الباحث أن نتائج البحث عند إبراهيم أنيس، ستفيد كثيرا، مما خلصت إليه الأبحاث المستقبلية الحديثة، هذه الأخيرة أفضت إلى أن حناجر البشر متشابهة، فلا تكاد تختلف حنجرة الشادي ذي الصوت الرخيم، عن حنجرة غيره من الناس، وما اختص به المطرب دون غيره هو تلك الموهبة والقوة الفطرية في السيطرة على عملية التنفس و تنظيم اندفاع النفس من الرئتين.

وإن ما يمنح الصوت الإنساني صفته الخاصة، و يميزه عن بقية الأصوات الأخرى، هو تلك الفراغات الرنانة المضخمة بالصوت، كفراغ الحلق و الفم و الأنف (فهي بمثابة الصناديق المجوفة التي تشد عليها أوتار الكمنجة و العود)(13)، و اختلاف حجم هذه الفراغات، هو الذي يجعل أصوات الناس مختلفة متميزة.

و ربما وجدنا في هذه الصياغة الجديدة استلهاما بما أبدعه ابن جني حين شبه النطق و أعضاءه بالناي و الثقوب الموجودة فيه.

- نشأة الصوت البشري:

بعد أن قدم لنا جملة من المفاهيم التي تتعلق بالظاهرة الصوتية، انتقل إبراهيم أنيس إلى صياغة نظرية جديدة عن نشأة

الصوت البشري، إذ يرجعها إلى عوامل أهمها (الاستعداد الفطري عند الإنسان، والحاجة الغريزية والذكاء والممارسة).

فالإنسان مارس السمع قبل أن يمارس النطق، و كانت مواجهته مباشرة بالطبيعة، و نطقه الأول لم يكن له مبرر إنما يرجعه العلماء إلى رغبة غريزية، تلك التي تدفع الإنسان إلى اكتشاف أعضائه، و استغلال أصوات نفسه، ثم إن العامل الأكبر حسبه، في إذكاء ورقي اللغة هو ما يميز الإنسان عن غيره من المخلوقات، من ذكاء واستعداد فطري وعقلي، ساعده كل ذلك، في ترجمة الأصوات و تفسيرها، و من ثمة تقليدها، " وهو ما أدى به في آخر الأمر، إلى تكوين لغته، ذات القواعد والأصول"(14).

لقد كان ابراهيم أنيس يدرك جيدا أهمية العملية السمعية وأثرها في نشأة الصوت البشري قبل إدراك الصوت، في حد ذاته فالنبوغ كثير الاحتمال بين العمي، في انه نادر بين الصم، و إن كانوا مبصرين، فهو - الصوت - وسيلة الفهم و الإفهام وعماد كل نمو عقلي.

وقد أولى الدرس اللغوي الحديث عناية كبيرة بالعملية السمعية، ربما لا نجد لها في بحوث المتقدمين، فقدم وصفا تشريحيًا لجهاز السمع (الأذن)، قبل أن يشرح الجهاز النطقي، وهي بتركيبها المعقد مقسمة إلى ثلاثة أقسام :- الأذن الخارجية.

- الأذن الوسطى.

- الأذن الداخلية.

وبعد ذلك شرح آلية السمع و كيفية انتقال الموجات، واستقبالها و ترجمتها إلى أصوات لغوية، ثم قراءة الرسائل التي تحملها هذه الأصوات اللغوية.

و جهاز النطق، هو مبحث كان لابد منه كمقدمة لدراسة الأصوات اللغوية، و تبيان خصائصها الفيزيائية، و تقوم دراسته على تشريح الجهاز النطقي عند الإنسان، متدرجا من الداخل إلى الخارج، أي من القصبة الهوائية إلى الشفتين، مستعينا في ذلك بالرسومات التشريرية، و الأشكال التوضيحية.

كما لا تختلف كثيرا، دراسة الجهاز النطقي بينما ذكره ابراهيم أنيس، و بينما قدمته الدراسات التراثية، و قد تمكنا من تسجيل بعض الملاحظات عما أفاد به الدرس الصوتي الحديث نعرضها فيما يلي :

- تتكون أعضاء النطق من : القصبة الهوائية، الحنجرة، الوتران الصوتيان، الحلق، اللسان، الحنك الأعلى، الفراغ الأنفي و الشفتان.

- للقصبة الهوائية دور في تغير درجة الصوت، و خاصة إذا كان عميقا بعد أن كانت عند المتقدمين مجرد مجرى للتنفس.

- تتحكم حركة الشفتين في انفراجهما وانسدادهما وانطباقهما في إصدار بعض الأصوات اللغوية.

- لا يمكن الاستغناء عن الرئتين في عملية النطق، فهما مصدر التنفس المن دفع و مع ذلك لا يصنفهما ضمن أعضاء الجهاز النطقي للإنسان.

- أي إعاقة اصطناعية أو طارئة لحركة مرور النفس في مجراه، تتسبب في الخشخشة أو الشخير.

الصفات الفيزيائية للصوت اللغوي :

- الجهر و الهمس : الصوت المجهور هو الذي يهتز معه الوتران الصوتيان، و الصوت المهموس هو الذي لا يهتز معه الوتران، فإذا انقبض الوتران تضيق فتحة المزمار، و في هذه الحالة إذا مر الهواء فإنهما يهتزان و يحدثان صوتا مجهورا، أما إذا كانت فتحة المزمار متسعة فإن الوترين لا يسمع لهما رنين إذا مر الهواء عبرهما.

و لتحديد طبيعة الصوت من حيث الجهر و الهمس، فإن إبراهيم أنيس ينطق الصوت معزولا ليحقق استقلاله متفاديا بذلك طريقة المتقدمين من علماء الأصوات حين كانوا يقرنون الصوت بألف وصل قبله، فكانت أحكامه و نتائجه التي توصل

إليها مبنية على المنهج التجريدي و تصدر أحيانا عن إجراءات علمية بسيطة.

كما تشير إحصاءات درسه الصوتي أن نسبة شيوع الأصوات المهموسة في الكلام كله لا تتعدى الخمس، في حين أن أربعة أخماس الكلام تتكون من أصوات مجهورة، و لو كان الأمر عكس ذلك لفقدت اللغة موسيقاها و رنينها الذي يميزها عن الصمت، كذلك فإن بعض الأصوات المجهورة لها نظائرها المهموسة مثل أصوات (د، ذ، ز، ض، ع، غ) نظائرها من الأصوات المهموسة هي على الترتيب التالي: (ت، ث، س، ط، ح، خ).

شدة الصوت و رخاوته :

يفرق ابراهيم أنيس بين مخرج الصوت و مجراه " فالمخرج نقطة معينة في المجرى عندما يتكون الصوت... أما المجرى فهو طريقه من الرئتين، حين يندفع من خارج الفم أو الأنف» (16)، فالمخرج نقطة ثابتة أما المجرى فهو مسار ممتد يتحدد طوله حسب مخرج الصوت.

و أثناء العملية الكلامية فإن مجرى النفس قد يضيق أو يتسع أو ينحبس، و تبعا لهذه الوضعيات الثلاث للمجرى، تكون طبيعة الصوت و تتشكل ثلاثة أنواع من الأصوات هي:

1- الصوت الشديد أو الانفجاري (plosive):

ينحبس فيه مجرى النفس على مستوى المخرج، ثم يندفع مرة واحدة و بقوة محدثا انفجارا أو دويا، "مثلا يحدث، حينما ينحبس النفس المندفع من الرئتين، عند مستوى الحاجز الذي يتشكل من التقاء الشفتين، ثم لما تفصلان انفصالا فجائيا، يتحرر النفس محدثا صوتا انفجاريا وهو ما نرمز له في الكتابة بحرف الباء" (17).

2- الصوت الرخو أو الاحتكاكي (fricative):

يضيق فيه مجرى النفس فيحدث مرور النفس المندفع من الرئتين فيحدث صفيرا (إذا كان المجرى ضيقا جدا)، أو خفيفا (إذا اتسع المجرى نسبيا)، وأكثر الأصوات رخاوة هي حروف الصفيـر (س، ص، ز).

و الأصوات العربية الرخوة، كما تقدرها التجارب العلمية الحديثة هي : (د، س، ز، ص، ش، ذ، ث، ظ، ف، ح، خ، ع، ه).

و لبعض الأصوات الشديدة، نظائرها من الأصوات الرخوة مثل: (د) نظيره الرخو (ز أو ذ) و (ت) نظيره الرخو (س أو ث)...الخ، وعند إتحاد المخرج بين صوتين متناظرين، فإن الصوت الشديد يصدر حين ينحبس النفس و إذا سمح لهذا النفس أن ينطلق ببطء، أحدث ذلك صفيرا أو خفيفا، و نتج معه الصوت النظير.

3-الصوت المتوسط:

يحدث مع بعض الأصوات اللغوية، أن يتسرب النفس إلى الخارج دون أن يحدث انفجارا أو حفيفا أو صفيرا، فينتج عن ذلك صوتا ليس شديدا ولا رخوا، وهو ما يحدث أثناء صدور أصوات (اللام و النون و الميم و الراء)، وتسمى هذه الأصوات اللغوية متوسطة.

وتجدر الإشارة الى أن المتقدمين من علماء الأصوات، زادوا عن هذه الأصوات الأربعة صوت العين، وهو ما لم يشر إليه ابراهيم أنيس إذ يقول: "و لقلت التجارب الحديثة التي أجريت على أصوات الحلق، لا نستطيع أن نرجح صحة هذه الصفة لـ (العين) بل نتركها لتجارب المستقبل" (18).

- الأصوات اللينة (les voyelles) و الأصوات الساكنة (les consones):

تشارك أصوات اللين في كيفية مرور الهواء في الحلق و الفم، وخلق مجراها من الحوائل أو الموانع، و الأمواج الصوتية تحدثها في هذه الحالة الأوتار وحدها و ترتبط بحجم و شكل تجويف الفم" (19)، أما في الأصوات الساكنة فيعترض معها

مرور النفس، حاجز أو عارض إما كلي (الانفجاري) أو جزئي (الاحتكاكي) و كذلك فإن نسبة وضوح الصوت في السمع تختلف في النوعين، فالأصوات اللينة أكثر وضوحا من الأصوات الساكنة.

و تشير أيضا نتائج التحليل الفونيتيكي، أن أصوات (اللام، الميم و النون) أقرب إلى طبيعة الصوت اللين لأنها أكثر وضوحا في السمع، و هو ما يسوغ لبعض المحدثين بتسميتها (أشباه أصوات اللين).

و يعتقد إبراهيم أنيس أن نسبة شيوع أصوات اللين و دورانها في اللغات كثيرة، و لذلك يتعين على متعلم اللغات الأجنبية أن يتمرن على نطق هذه الأصوات أكثر من التمرن على نطق الأصوات الساكنة، "لأن الفروقات بين أصوات اللين كبيرة... بل إن لهجات اللغة الواحدة تختلف فيها اختلافا بين كل لهجة من هذه اللهجات" (20).

و قد اضطر المحدثون إلى ضبط مقاييس أصوات اللين أكثر من غيرها من الأصوات الساكنة، "و أول من عنى بهذه المقاييس هو البروفيسور (دانيل جونز) في جامعة لندن، إذ استطاع بعد تجارب دقيقة و بحوث متواصلة أن يخرج لنا تلك المقاييس العامة لأصوات اللين" (21).

عنيت الكتابة العربية منذ القدم بالأصوات الساكنة أكثر من الأصوات اللينة، ثم بدأ الدرس اللغوي يتجه إلى أصوات اللين حين أدرك علماؤنا أن الكتابة في عهدهم كانت ناقصة، و لا تعبر عن كل الأصوات اللغوية، وبعد أن أدركوا أيضا أن الفرق بين الحركات و حروف المد هو فرق في الكمية.

و مع كون خصائص أصوات اللين متشابكة و متداخلة، بخلاف الأصوات الساكنة التي بدت خصائصها واضحة متميزة، فإن مبحثه في مقاييس أصوات اللين و أشباه أصوات اللين كانت ميزة جديدة طبعت الدرس الصوتي الحديث.

و إن التمايز الموجود بين الأصوات الساكنة، يجعل التفريق بين مخارجها و طريقة النطق بها بينا إذا ما قارن بالأصوات اللينة، يشترط إبراهيم أنيس أن ينطق الصوت ساكنا بمفرده دون أن يسبقه بآلف وصل و هو منهج المتقدمين واخترنا أن نورد هذه الصفات و المخارج كما وردت لديه مختصرة في الجدول الآتي:

الجدول

متوسط		رخو		شديد		
مهم وس	مجهـ ور	مهم وس	مجهـ ور	مهمو س	مجهو ر	المخ ارج
	م				ب	شفوي
		ف				شفوي أسناني
	ل	ث	ذ			يـين
	ر	س	ظ (إطباق)	ت	د	أول اللسان
	ن	ص (إطباق)	ز	ط (إط باق)	ض (إطبأ ق)	، وطرف هـ، و الثنايا العليا و أصولها
		ش			ج	وسـ

العربي المعاصر عنه" (22) ، هذا المعلم قد اتضحت ملامحه وفصوله في الدرس الصوتي الحديث.

و نحن بهذا العرض المتواضع نوشك أن نلم شتات هذا الدرس، تاركين الخيار لقرائنا بين الجهود التراثية و الجهود الصوتية الحديثة، ولا بد له من مثل هذا المجال، " لأن الحداثة في جوهرها ليست وليدة طفرة تاريخية بل هي قائمة على تراكم المعارف و الخبرات، و لا يمكننا و بخاصة في المعارف المتصلة بتحليل الخطاب الأدبي أن نكتفي بنفسها أو نستغني عن منجزات التراث" (23)، فهي و إن تبنت نتائج المدارس اللسانية الغربية، فإنها لا تتوانى من جهة أخرى، على عقد المقارنات بين ما وصل إليه الغرب في مجال الصوتيات و بين ما كان قد سبق إليه تراثنا اللغوي.

خاتمة:

لقد تعمق الدرس الصوتي الحديث، وتنامت في السنوات الأخيرة مصادره ومباحثه، وتوسعت عند دارسي الصوت اللغوي مجالات بحثهم ودراساتهم، و تضافرت علوم كثيرة و معارف عديدة، فصارت تعمل كلها في سبيل تعرف ماهية الصوت الإنساني واكتشاف عوامل إنتاجه وانتقاله وتلقيه